مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 10 عدد: 3 السنة: 2021
ص: 936 - 950 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

رمزية المرأة في شعر محمود درويش، نماذج مختارة

The symbolism of woman in Mehmud Derwish's poetry Selected models

هاني فتيحة [1]*، أ.د. فارسي عبد الرحمن [2]

Ms. Hani Fatiha[1], Dr. Farsi Abderrahmane[2]

جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر

مخبر الدراسات النقدية الأدبية وأعلامها في المغرب العربي من التأسيس إلى نهاية القرن العشرين

Abu Bakr Belkaid Université, Tlemcen, Alegria

hanifatiha2016@gmail.com,[1] abderrahmane.farsi@hotmail.fr[2]

تاريخ الإرسال: 2020/11/08	تاريخ القبول:2021/02/21	تاريخ النشر : 2021/09/02

ملخص البحث

يدور موضوع البحث حول دلالة الرمز في شعر محمود درويش ويختص برمز المرأة في شعره وما تحمله من إيحاءات ودلالات مختلفة، ولاستجلاء هذه الدلالة الرمزية للمرأة، حاولنا الوقوف على لفظة المرأة في القرآن الكريم ثم المرأة في الشعر العربي لنصل أخيرا إلى رمزيتها في شعر محمود درويش ،محاولة في ذلك إبراز تعددها الدلالي في بعض قصائد الشاعر التي حفلت بها.

الكلمات المفتاحية : التعدد– الدلالي– رمز– المرأة — في شعر– محمود درويش.

Abstract :

This research is about the significance of the symbol in Mehmoud Darwish poetry specially the woman as a symbol and all the different meanings and inspirations that this word « woman » carries.

To explain this symbolic significance of the woman, we try to stop a little bit at what the word « woman » means in some Arabic dictionaries then in the Arabic poetry to finally reach its symbolism in Mahmud Derwish poetry trying to show its different meanings by mentioning some of his poems.

Key words: multiplicity – indicative –symbol- woman –in poetry- Mahmud Dewish.

* هاني فتيحة، hanifatiha2016@gmail.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد:

إذا كانت اللغة الشعرية هي لغة المجاز فإنها أيضا لغة الرمز ذلك لأن مساحة الرمز في الشعر واسعة وآفاقه رحبة وطاقاته الإيحائية كثيفة. وبما أن الرمز بمختلف أنواعه من أهم الأسس الأسلوبية التي يقوم عليها تشكيل الصورة عند محمود درويش وأحد مكوناته الأساسية فسوف نقف عند هذا الرمز وسنكتفي بدراسة رمز المرأة في شعره، والشاعر إذ يوظف هذا الرمز فإنه يخلع عليه من عواطفه وذاته ويصبغ عليه من تجاربه الحياتية ما يجعل هذا الرمز ينفث إشعاعات وتموجات تضج بالإيحاءات فتصبح الكلمات الشفافة القريبة المعنى مكثفة ومحملة بالدلالات.

أثر الكلمة في شعر محمود درويش:

إن دور الكلمة مقدس في الشعر الثوري ومحمود درويش يؤكد على هذا التقديس حيث يقول:

قصائدنا بلا طعم بلا صوت

إذا لم تحمل المصباح من بيت إلى بيت[1].

ويقول في موضع آخر كله تحد وغضب:

يا قارئي لا ترج مني الهمس هذا عذابي.

ضربة في الرمل طائشة .

وأخرى في السحب حسبي بأني غاضب[1]

وتراه يخاطب أرضه قائلا:

أنا آت إلى ظل عينك آت

من خيام الزمان البعيد، ومن لمعان السلاسل.

أنت كل النساء اللواتي

مات أزواجهن وكل الثواكل أنت[2]

فالقارئ لمطلع هذه القصيدة يظن بها قصيدة غزلية وما هي إلا أرضه التي عشقها حتى لقب بمجنون التراب، وفي هذا الصدد يقول محمد ناصر« و لما استخدم هذا الرمز في القصيدة التقليدية ضمير المؤنث في مخاطبة الوطن بكل الصفات التي لا يمكن أن تمتلكها أو تتصف بها سوى المرأة[3]» فما الدلالات أو الرموز من وراء هذه الصفات التي يريدها محمود درويش؟

أولا– لفظة المرأة في القرآن الكريم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لفظة المرأة وارد في القرآن الكريم في العديد من السور، يقول عز وجل في سورة يوسف:« **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** .»[4] وتجدها أيضا في قوله تعالى:

« **وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.**[5]» وفي سورة أخرى من سورة العنكبوت يقول جل ثناؤه :« **إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ**[6]».

فالمرأة منذ مجيء الإسلام عنيت باهتمام كبير وتكريم عظيم حتى سميت سورة كاملة باسم امرأة (سورة مريم) وقد ذكرت في ثنايا هذه السورة وغيرها، يقول سبحانه تعالى:

« **وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**[7] » وأيضا قوله ﷻ: «**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**[8] » .

لقد أعزها الإسلام وأجل قدرها، فقد كرمها إذ لا فرق بين الرجل والمرأة، وهذه العدالة الربانية واضحة في قوله تعالى: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** »[9] فلا فرق بينهما إلا بالعمل الصالح.

ومن سماحة الإسلام وتكريمه للمرأة لم يفرق بين تعليمها وتعليم الرجل ومن ثمة برهن عن كفاءتها في مجالات متعددة ومنها مجالي الشعر والنثر وعلى العموم فقد وجدت المرأة مساحة شاسعة من الحرية في مجالات متعددة من الأدب فظهرت أدبيات كثيرات وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مواكبة المرأة للتطور الاجتماعي والسياسي والعلمي والأدبي بل كانت موجودة حتى في ثنايا كتاباته.

ثانيا– المرأة في الشعر العربي

لقد حظيت المرأة بمكانة متميزة عند الشعراء قديمهم وحديثهم إلا أنهم اختلفوا في استخدامها وتوظيفها في إبداعاتهم الشعرية وتغيرت دلالاتها القديمة المتوارثة التي تجسد العاطفة (الحب)، الغزل بل تحولت إلى رمز له دلالات شتى[10].

فالمرأة على الصعيد الموروث الشعري تمثل أكثر المشاهد جاذبية وإثارة في تفجير ينابيع الشعر فالمرأة هي ملهمة الشعراء وأرباب الفكر منذ عهود الآداب القديمة حتى يومنا هذا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كان للمرأة بصمات واضحة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية إذ قطعت أشواطا كبيرة وساهمت مساهمة عظيمة لا تقل أهمية عن مساهمة الرجل.لم تكن بنتا وأختا وزوجة وأما .... فقط، بل كانت أديبة عظيمة كما بين ذلك التاريخ، ففي الزمن الماضي علا اسم الخنساء أما في تاريخنا الحديث والمعاصر وحيث الثورة الفلسطينية فإذا بمجموعة من خنساوات فلسطينيات يفاجئن الدنيا كلها[11].

فالمرأة الفلسطينية لم تقف بمعزل عن محنة فلسطين بل أسهمت في الكفاح بمظاهره المختلفة، ما دفع بالشعراء المعاصرين إلى الإشادة بها وتوظيفها في شعرهم، وقد أخذت المرأة دلالات مختلفة في الشعر الفلسطيني وسنقف عند هذه الدلالة الأنثوية في شعر محمود درويش.

ثالثا– دلالة المرأة في شعر محمود درويش

يمكن أن نقول أن الشاعر العربي بصفة عامة كان يعتقد أن في المرأة « قوة سحرية طقوسية خيرة تؤثر في الروح والجسد معا[12] » حتى أن الشعراء أنفسهم اختلفوا في وصف هذه القوة الساحرة ولأديب إسحاق رأي في المرأة فيقول:

إنما المرأة مرآة بها كل ما تنظره منك ولك

فهي شيطان إذا أفسدتها وإن أصلحتها فهي ملك[13]

وأما محمود درويش فيقول في حق المرأة أو النساء بصفة عامة في المعنى ذاته:

و إن النساء حلال علكم.

فلا تهجروهن، لا تضربوهن، هن الحمام .

و هن حبيباتنا والسلام عليكم...عليهن.

ألف سلام – ألف سلام[14].

لدى قراءة شعر محمود درويش يتضح لنا أن صورة المرأة أصبحت تمثل لديه ملمحا آخر من ملامح شعره، عدا القصائد الوطنية المقاومة يبدي فيها مكانة خاصة بالمرأة واحتفاء أنيقا بالأنوثة في أسلوب خال من الابتذال والتغزل المصطنع أو الممتهن لذات المرأة: الأم، الصديقة، الرفيقة في درب الحياة[15] « وليس معنى الشعر أن تقتصر مادته على الدماء والجثث والمدافع والسيوف والثورة والعنفوان، لأن الشاعر إنسان قبل كل شيء وهو لا يستطيع أن ينسلخ عن أحلام الإنسان وأهوائه، ميوله ورغبات[16] » .

لنرى ما تمثل المرأة في شعر محمود درويش

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- المرأة رمز الوطن

لعل ما لقيه محمود درويش منذ طفولته وما كانت تمتلئ به نفسه من انفعالات ثائرة، وإحساس عميق بمأساة الوطن والشعب منذ البداية، جعله يرفض الواقع الذي يعيش فيه ويتحدث عن واقع يحلم به، ولكنه لا يفصح عن عناصر الواقع الذي يرفضه ولا عناصر الواقع الجديد الذي يتمناه، « إنه يحلم ويعبر عن أحلامه في قصائد غنائية رقيقة، ولعل هذه الأبيات تكشف لنا عن ذلك في هذه المرحلة حيث يقول في قصيدة له بعنوان (**نشيد ما**) وهي قصيدة وطنية ولكنها تكتسي بغلالة رقيقة من الغزل، فالمرأة أو الحبيبة التي يخاطبها الشاعر هنا هي وطنه.[17] » يقول محمود درويش في هذه القصيدة :

عسل شفاهك واليدان كأس خمور للآخرين

و حرير صدرك والندى والأقحوان

فرش وثير للآخرين[18].

إن المزج بين المرأة والوطن في شعر محمود درويش، يمد تجاربه الفنية بنفس عاطفي خصيب يولد تلك الرؤية الحية حيث يمتزج فيه الحب بالوطن، وتمتزج فيه صورة الفتاة بالوطن فلا يعود باستطاعة أحد أن يفرق بين عاطفة الحب نحو الفتاة وبين عاطفة الحب نحو الأرض أو الوطن، يقول الشاعر في قصيدة (موت آخر وأحبك)، حيث يصرح فيها بجمال الوطن وحبه الكبير والعميق له[19].

و كيف أقول أحبك؟

كيف تحاول خمس حواس مقابل المعجزة

وعيناك معجزتان

تكونين نائمة حين يخطفني الموج

عند نهاية صدرك يبتدئ البحر

ينقسم الكون هذا المساء إلى اثنين

أنت ومركبة الأرض

من أين أجمع صوت الجهات لأصرخ

أني أحبك[20].

أما في قصيدة (الأرض)فتراه يستخدم رمزية امرأة سماها خديجة.

أنا الأرض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و الأرض أنت

خديجة لا تغلقي الباب

لا ترحلي في الغياب

لا تدخلي من إناء الزهور وحبل الغسيل.

سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل

سنطردهم من هواء الجليل[21].

إن العلاقة التي تشكلت من طرفين (أنا أنت) كانت الأرض محورها في (أنا الأرض والأرض أنت خديجة)، تعود هنا محملة بكشوف الرؤيا وتحقق نبوءة التوحد مع الأرض وما عليها، ويكون ذلك التوحد مصدر المعرفة والمعرفة في المعجم الصوفي « حال تحدث عن شهود » .

يتمثل الشهود هنا في علامات ومسميات لمفردات الحياة ا ليومية تكون منطلقا لخوض التجربة الروحية والوصول إلى كمال المعرفة الصوفية واكتمال حال البقاء بعد الفناء[22].

أما حبل الغسيل وحجارة الطريق الطويل فالشاعر يقصد بالمعنى الأول حبل النور، أما حجارة الطريق الطويل فهو طريق المقاومة والجهاد[23].

2- المرأة رمز الأم

لعل الحافظ للقرآن الكريم التالي للذكر الحكيم المدبر لآياته، يجد نفسه في موضع الشكر الخالص لوالديه كما أمره الله تعالى بذلك وقرن شكر والديه بشكره « **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**[24] » وجاء في معنى حديثه صلى الله عليه وسلم:

" أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك "[25].

فالأم هي نبع الحنان ومصدر الإلهام تغنى بها الشعراء على مر الأزمان، ورفعوا قدرها ومنزلتها وأفاضوا عليها من القدسية والإجلال، ما جعلها في مكانة سامية لا ترقى إليها امرأة غيرها، وقد مجد شعراء فلسطين الأم وأشادوا بالدور الكبير الذي تقوم به وربطوا بينها وبين الأرض برباط وثيق[26].

محمود درويش يؤكد ويثبت صدق هذا الرباط من خلال قصيدته (إلى أمي):

أحن إلى خبز أمي.

و قهوة أمي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و لمسة أمي.

و أعشق عمري لأني.

إذا مت

أخجل من دمع أمي[27].

عبارات مصاغة بشكل فني رهيف رهافة قلب الشاعر الذي يعشق عمره وحياته رأفة بأمه لدرجة خجله من دمعها عند الاستشهاد.

إن شخصية الأم تظهر صورتها بشكل واضح في قصيدة (تعاليم حورية)، وحورية اسم والدة الشاعر ويذكرها بقوله: « إن الشخصية الأقوى في البيت والتي كنت أعتبرها عنيفة إلى حد ما هي والدتي، وكنت أعتقد وأنا طفل أنها لا تحبني إلى أن سجنت للمرة الأولى أدركت ساعتها أنها تحبني، بل أدركت كم تحبني[28] » .

يركز درويش في هذه القصيدة على تأثير المأساة الفلسطينية على شخصية والدته إلا أنها قاومت البؤس بالكبرياء، فصارعت وناضلت لا تأذن للتعب بأن ينطق بالشكوى أبدا، لكن رغم الظروف التي تمر عليها الأم إلا أن قلبها ناحية أبنائها يبقى مليء بالحب، بالعطف بالحنان، ودرويش يصف هذه الأم حيث يظهر إحساسها اتجاهه وهو في منفاه وغربته وبعده عنها.

أمي تعد أصابعي ا لعشرين عن بعد

تمشطني بخصلة شعرها الذهبي تبحث

في ثيابي الداخلية عن نساء أجنبيات

و ترفو جوربي المقطوع لم أكبر على يدها

كما شئنا أنا وهي افترقنا عند منحدر الرخام[29].

و إذا كانت القصيدة تحمل عنوان (تعاليم حورية) فإن وصايا الأم أكثر ما يلفت النظر، تحاول بتعاليمها أن تحرره من كل القيود من حوله يقول مثلا:

تزوج أية امرأة من الغرباء أجمل من بنت الحي

لكن لا تصدق أية امرأة سواي ولا تصدق

ذكرياتك دائما لا تحترق لتضيء أمك

وانطلق كالمهر في الدنيا وكن من أنت[30].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تركز قضايا الأم كلها على حث الابن على الالتفاف إلى حياته وشأنه الخاص، وهذا يتجلى في قولها: « لا تحترق لتضيء أمك ،انطلق كالمهر في الدنيا وكن من أنت. »

يرى درويش أثر هذه الوصايا في إنارة طريقه حيث الالتفات إلى الحياة، وإلى طريق الشعر القائم على الرؤية والجمال والإبداع فكان كذلك فقد دخل ميدان الشعر وهو يردد:

أجمل الأشعار ما يحفظه عن ظهر قلب

كل قارىء

فإذا لم يشرب الناس أناشيدك شرب

قل أنا وحدي خاطئ[31].

لم يخطئ درويش عندما اختار رمز الأم للكشف عن مشاعره الحزينة ومواقف حياته اليومية التي تملي عليه الإحساس بالغربة في كل لحظة، فنحن هنا أمام صورة إنسانية قريبة إلى القلب، كأننا في لقاء وجداني خاص مع إنسان يشكو في صدق وبساطة أحزانه، ويكون تأثيره عادة أعمق من أي إنسان يعرض شكواه في حدة وصوت علي مرتفع[32].

يقول محمود درويش في هذا المقطع:

الليل يا أماه ذئب جائع سفاح

يطارد الغريب كيفما مضى

ويفتح الأفاق للأشباح

ماذا جنينا نحن يا أماه؟

حتى نموت مرتين

فمرة نموت في الحياة.

و مرة نموت عند الموت[33]

إن المتشرد الفلسطيني هنا يخاطب الأم رمز الحنان والرعاية، والشاعر يضع صورة الأم في مقابل صورة القسوة التي تلقاها ذلك الإنسان الفلسطيني، وهذا التقابل هو « تقابل فني دقيق يؤدي هدفه: الحنان المفقود البعيد في جانب، والقسوة المريرة التي يعانها الفلسطيني معاناة يومية في جانب آخر[34].

3- المرأة رمز الأخت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن طيبة قلب درويش ومسؤوليته الكبيرة ناحية أسرته الكبيرة (فلسطين) وأسرته الصغيرة (عائلته) جعلته لا ينسى أخته (شقيقته)، فها هو ذا يتساءل عن حالها ليطمئن عن مستقبلها قائلا:

وكيف حال أختنا

هل كبرت وجاءها خطاب[35].

وفي موضع آخر تراه يناجي أخته ليلا في لحظة من الصفاء الإنساني مشوب بالنزعة الصوفية مناديا.

يا أختاه

إن أواخر الليل

تعريني من الألوان

و تحمني من الذل[36].

نحس وكأن هذه الأخت مرتبطة بعهد الصبا، عهد الطفولة الجميلة الذي يحن إليه الشاعر ويتمنى عودته، وقد تكون دلالة الأخت غير الشقيقة، كالصديقة أو الرفيقة مثلما نراه في قصيدته.

(يوميات جرح فلسطيني (إلى فدوى طوفان):

نحن يا أختاه من عشرين عام

نحن يا أختاه لا نكتب أشعارا ولكن نقاتل[37].

فشعره فيه من قوة الكلمة وهبة وتحد كأنه بمثابة السلاح القاتل:

4- المرأة رمز الجدة

يعبر محمود الشاعر عن احترامه ومحبته لجدته سائلا عن حالها أيضا:

و كيف حال جدتي

ألم تزل كعهدها تقعد عند الباب تدعو لنا.

بالخير والشباب والثواب[38].

و هذا يدل على مدى احترام الشاعر ووقاره لجميع أهله العربي الفلسطيني صغيرهم وكبيرهم.

5- المرأة رمز الحبيبة

لقد عمد درويش منذ بداياته إلى المزج في خطابه الشعري بين الوطن والحبيبة، إذ أنه جعل منها شيئا واحد. إن الحبيبة تذكره دائما بالوطن بل أن الحبيبة هي الوطن في الوقت نفسه، وكثيرا ما كانت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تختلط الأمور على المتلقي أثناء تعامله مع شعر درويش بحيث لا يستطيع أن يفرق بين المحبوبة وبين الوطن "فالحديث في الظاهر نحو الحبيبة ولكن ما إن تتعمق الدلالة حتى يتكشف المعنى الباطني والرمزي القائم على أساس حب الوطن وتصبح المحبوبة رمز للوطن فلسطين"[39].

يقول محمود درويش:

أموت ... أحبك ... إن ثلاثة أشياء.

إن ثلاثة أشياء لا تنتهي

أنت والحب والموت.

قبلت خنجرك الحلو

و حين أحبك.

أشعر أني أموت

فكوني امرأة

و كوني مدينة[40].

و يقول أيضا :

عيونك شوكة في القلب توجعني .....و أعبدها

و أغمدها وراء الليل والأوجاع .....أغمدها[41].

هكذا اتجه بعض شعراء الحداثة إلى مزج الحب بالموضوع السياسي والثوري، ومن أقدم الذين توجهوا في شعرهم هذا التوجه: عبد الوهاب البياتي في قصائد عدة حيث يتخذ من حديثه إلى الحبيبة أو المرأة طريقا للانتقال إلى موضوع الثورة وفي ذلك يقول :

أحبها أحب عينيها

أحب شعرها المعطاء

أحب صوتها الدافئ المنهار[42].

فالمعنى الحقيقي لهذه القصيدة هو غير الظاهر، فالشاعر لا يقصد حبيبته بل مدينته ولنقل بلاده بكلمة أدق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد لفت درويش الانتباه إلى هذا المزج بين المرأة والوطن فهو تارة يوهم القارئ أنه حب حقيقي لكنه سرعان ما يذكر الجراح الزيتون الزيتون الحجر.... فيحول القارئ من عالم الحب إلى عالم الشعر السياسي والثوري، يقول درويش.

لا تنامي حبيبتي
العصافير تنتحر
غصن زيتون بكى
في المنافي على حجر
باحثا عن أصوله
و عن الشمس والمطر[43].

انطلاقا من هذا التوجه فإن محمود درويش في مرحلته الشعرية الأولى لم يتحدث عن المرأة من حيث كينونتها الأنثوية حتى في حديثه عن (ريتا) الفتاة اليهودية التي أحبها، قد اتخذ من حبها رمز العلاقة الإنسانية بعيدا عن العرقية العدائية[44]، لكن درويش في المرحلة الثانية استطاع أن ينظر إلى المرأة الأنثى وهذا ما أشار إليه بقوله « المرأة كائن بشري وليست وسيلة للتعبير عن أشياء أخرى، جميل أن تكون المرأة وعاء للوجود كله ولكن يجب أن تكون لها شخصيتها كامرأة[45] » .

تظهر المرأة في قصيدة (لا أقل ولا أكثر) من ديوان (سرير الغريبة) بصفتها الأنثوية بعيدا عن الرمز والوطن.

أنا امرأة لا أقل ولا أكثر
لا لست شمسا ولا قمرا
أنا امرأة لا أقل ولا أكثر
يعجبني أن أحب كما أنا
لكني لست أرضا[46].

من هنا تتخلص قصائد الحب من الترميز في دواوين درويش الذي طالما أرهقها، وتصبح قصائد حب خالص ولعل الشاعر حريص على اتضاح هذا التحول في خروجه من ثنائية المرأة الوطن في قوله:

" إن شعر الحب يمثل البعد الذاتي من أبعاد المقاومة الثقافية فإن نكون قادرين على الكتابة عن الحب والوجود والموت فهذا يعمق من قيمتها الوطنية وهويتها"[47]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك لأن مجال الشعر ليس فقط تثبيت الأخبار والأحداث وإلا أضحى تاريخا، إذ أن « الشعر هو خطاب الرؤية الاستثنائية وتجسيد المشاعر والآمال ،فهو من ثمة فن المستحيل وإذا خلا الشعر من السحر والدهشة كان قاصرا عن وظيفته » [48]

هكذا إذا كانت دلالة المرأة في شعر محمود درويش المرأة، التي كلها حب وحنان حياة وأمل، فالحقيقة أن محمود درويش من أغنى شعراء العاطفة في الشعر العربي كله على أن هذه العاطفة ليست عاطفة مجردة لأنها ترتبط بالقضية التي يعيش معها في كل لحظة من حياته، وهي قضية وطنية لكنا سرعان ما نجد في الشعر العاطفي لمحمود درويش صورة عميقة لمأساته وقضيته ،فهو لا يجرد العاطفة أبدا أو ينعزل بها عن قضية، إنه شاعر قضية شاعر مأساة شاعر جرح لا يساوم، ولذلك فالحب عنده مرتبط كل الارتباط بوطنه وقضيته[49].

و لعل أصدق دليل على هذا الارتباط الوثيق ما قاله محمود درويش« أنا لا أكون إلا في الأرض وكل وجود لي خارجها إنما هو ضياع وتيه نهائي، لتكن الأرض داخلي تكتبني وأكتبها»

خاتمــة:

من خلال هذه الوقفة السريعة واللمحة الموجزة عن دلالات المرأة في شعر محمود درويش تبين لنا أن:

– دلالة المرأة تنوعت بين المرأة رمز الوطن، وبين المرأة رمز الأخت، والمرأة رمز الجدة، والمرأة رمز الحبيبة.

– الأم الحقيقية بانت حقيقتها من خلال قصيدته (إلى أمي)، بدا فيها الشاعر كأنه طفل صغير محتاج إلى حضن أمه بكل ما يحمله هذا الحضن من معان ليمتزج مرة أخرى بالوطن يتجسد في قوله: وترعرعت على الجرح، وما قلت لأمي. وينطبق هذا على المرأة الأخت.

- لا ينسى المرأة الجدة رمز الاحترام والوقار.
- المرأة التي أنصفها وأرادها كما أرادت: (أنا امرأة لا أقل ولا أكثر) .
- و أعدل أكثر عندما استعمل رمز المؤنث (أنت) لتكون هي وهو واحد: (أنا الأرض والأرض أنت) .
- و المرأة (المعشوقة) فتاته التي أحبها إلا أنه لا يطيل حبه وغرامه حتى يبث لها أحزانه وألامه عن وطنه الجريح. هذه الآلام التي لا يحن لها قلب أي امرئ سوى قلب المرأة رمز (الحب، الحنان، العطف)
- فجميل أن ترتبط الأرض بهذا الحضن الدافئ (المرأة). فهي: الأم، الأخت، الحبيبة....) وكلهن الوطن (الأرض)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- هو شاعر الأرض بالدرجة الأولى.

هوامش :

[1] محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت ط11، 1984 ص55.

[1] المصدر نفسه ص ص 7- 8

[2] المصدر نفسه ص 325

[3] محمد عبد الهادي، تجليات رمز المرأة في شهر محمود درويش، مخبرة وحدة التكوين، بسكرة (الجزائر)2009 ص 03.

[4] سورة يوسف الآية 21.

[5] سورة القصص الآية08.

[6] سورة العنكبوت الآية32.

[7] سورة مريم لآية15

[8] سورة آل عمران الآية36.

[9] سورة الحجرات الآية 13.

[10] ينظر: محمد عبد الهادي، تجليات رمز المرأة في شعر محمود درويش ص 3.

[11] فاطمة سلهام، جمالية الشعر الثوري في الشعر الفلسطيني المعاصر، رسالة ماجستير، مخطوطة بجامعة تلمسان 2010 – 2011 ص 184.

[12] إبراهيم السامرائي البنية اللغوية في الشعر العربي المعاصر، دار الشروق والتوزيع عمان، (الأردن) ط1،202 ص 181 .

[13] صلاح الدين محمد عبد التواب، مدارس الشعر العربي في العصر الحديث- دار الكتاب الحديث (القاهرة) ط1 -2005 ص 136.

[14] محمود درويش، الديوان ص 67.

[15] ينظر:محمد عبد الهادي، تجليات رمز المرأة في شعر محمود درويش ص 03.

[16] عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، جامعة حلب (سوريا)، ط3، 1977 ص131.

[17] رجاء النقاش محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الهلال (بيروت) ط2 1971ص131.

[18] محمود درويش، الديوان ص 10.

[19] ينظر محمد عبد الهادي، تجليات رمز المرأة في شعر محمود درويش ص03.

[20] محمود درويش الأعمال الجديدة الكاملة ج1، رياض الريس للكتب والنشر ط1 2009 ص 169

[21] محمود درويش الديوان ص 619.

[22] ينظر: اعتدال عثمان – إضاءة النص، قراءات في الشعر العربي الحديث الهيئة العامة للكتاب ط2 (د ت) ص120.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[23] ينظر محمد عبدالهادي تجليات رمز المرأة في شعر محمود درويش ص 5

[24] سورة لقمان: الآية13.

[25] أبي زكريا محي الدين يحي النووي، رياض الصالحين، دار الغد الجديد – (القاهرة) ط1،2014ص127.

[26] ينظر:فاطمة سلهام، جماليات الشعر الثوري في الشعر الفلسطيني المعاصر ص197.

[27] محمود درويش، الديوان ص 98.

[28] صفاء عبد الفتاح الأنا في شعر محمود درويش- دراسة سيسو ثقافية في دواوينه دار العلم للملاين،(بيروت)، ط1، ص(1995-2008) ص 141.

[29] محمود درويش الأعمال الجديدة الكاملة ح1 ص 344.

[30] المصدر نفسه ص ص 346-347.

[31] محمود درويش الديوان ص 65.

[32] ينظر رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة ص 132.

[33] محمود درويش، الديوان ص ص 37-38.

[34] رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة ص 135.

[35] محمود درويش الديوان ص ص37.

[36] المصدر نفسه ص ص 136- 337

[37] المصدر نفسه ص 343.

[38] المصدر نفسه ص 37.

[39] صفاء عبد الفتاح، الأنا في شعر محمود درويش ص 257.

[40] محمود درويش، الأعمال الجديدة الكاملة ج1 ص 100.

[41] محمود درويش، الديوان ص 79.

[42] إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة عمان-(الأردن) ط2 2007 ص ص 302-303.

[43] محمود درويش، الديوان ص ص 187-188.

[44] صفاء عبد الفتاح الأنا في شعر محمود درويش ص 258.

[45] محمود درويش الأعمال الجديدة الكاملة ج2 رياض الريس للكتب والنشر ط1 2009 ص ص 67 68

[46] ينظر صفاء عبد الفتاح ص 259

[47] عشراتي سليمان الأمير عبد القادر الشاعر دار الغرب للنشر والتوزيع (وهران) ط1 2002 ص 52

[48] عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر الشاعر، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران ط1 2002 ص 52.

[49] إعتدال عثمان، إضاءات النص، قراءات في الشعر العربي الحديث ص 102.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com